مجلة التمكين الاجتماعي
المجلد 03 / العـدد 01 / مارس 2021 / ص ص29 - 39
Journal home page: https://sej-lagh.com
ASJP: https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/644

أزمة الثّقافة والمثقّف العربي عند برهان غليون

The crisis of Arab culture and intellectuals, according to Burhan Ghalioun

سعيد قروي [1]
Said Karoui[1]
[1] المعهد العالي للحضارة الإسلامية (تونس)، saidmoon@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2021/01/27 تاريخ القبول: 2021/03/27 تاريخ النشر: 2021/03/31

ملخص:
تعتبر دراسة مصطلح الثّقافة والمثقّف العربي من المواضيع الشّائكة الّتي تطرّق لها الباحثون في مجال الفكر العربي المعاصر، لما لها من دور مهمّ في بناء المجتمعات واستقرار وجودها وفرض هيمنتها داخل العالم. وبات لزاما على الدّارسين دراسة المثقّف العربي والثّقافة، والكتابة في هذا المجال لتحديد المناهج والآليات الضّامنة لنجاح مشروع تجديد الثّقافة العربيّة، ومن ثمّ تحقيق النّهضة الحضاريّة العربيّة.
ومن هذا المنطلق تناول برهان غليون الثّقافة والمثقّف العربي، وبيّن الدور المناط بعهدته مبرزا الحلول الّتي من شأنها أن تنقل المثقّف من طور الرّكود إلى طور الفعل والدّيناميّة. وتناول أهمّيّة الثّقافة في ترسيخ القيم البانية لرقيّ المجتمع عامّة والأفراد خاصّة، وأوضح العلاقة بين المثقّف الأصولي والآخر الحداثي.
كلمات مفتاحية: الثّقافة، المثقّف العربي، الأصولي، الحداثي، المجتمع.

ABSTRACT:
The study of the term culture and the Arab intellectual is one of the pioneering topics that researchers in the field of contemporary Arab thought have addressed, as they are considered one of the foundations in building societies, stabilizing their existence and imposing their hegemony within the world. It has become imperative for learners to study intellectuals and culture, and to write in this field to define the methods and mechanisms guaranteeing the success of the project of renewing Arab culture, and then achieving the Arab civilization renaissance.
From this standpoint, Burhan Ghalioun dealt with the Arab culture and intellectual, and explained the role entrusted to him, highlighting the solutions that would move the intellectual from a stage of stagnation to a phase of action and dynamism, and he dealt with the importance of culture in consolidating the building values for the advancement of society in general and individuals in particular, and clarified the relationship between the fundamentalist intellectual and the modernist one.
Keywords: culture, Arab intellectual, fundamentalist, modernist, the society.

- المؤلف المرسل: سعيد قروي، saidmoon@hotmail.fr

1- مقدمة:

يعيش العالم العربي اليوم وضعا معقّدا، وذلك لما يشهده من تدهور وتدنّ في جميع المجالات. هذا التدنّي وهو ما دعا نخبة من المفكّرين إلى محاولة تشخيص داء العقل العربي؛ وعليه تعيش الأوساط الاجتماعية العربية في نوع آخر من الانحطاط والتّذبذب الفكري والحضاري. وهو ما دعا نخبة من المفكّرين إلى تشخيص العقل العربي، والكشف عن معوّقات التّقدّم الحضاري، وخلق الحلول وابتكار الأساليب لإعادة بناء المجتمع العربي وإلحاقه بالرّكب الحضاري الغربي ذاك الّذي أصبح النّموذج في الاقتداء.

وبدأ تدهور العالم العربي وانحطاطه من القرن الثّاني عشر ميلادي ومع بداية الاحتلال الغربي في القرن الثّامن عشر إلى الرّاهن العربي، وذلك من خلال استنزاف الثّروات البشريّة والطّبيعيّة للعالم العربي النّامي. وتعتبر الثّقافة العامل الرّيادي في تحديد النّهضة الفكرية والحضاريّة للعالم العربي، وقد خاض العديد من المفكّرين في قضيّة المثقّف العربي وذلك لما يحمله من دلالات ومعاني ومفاهيم وما يلعبه من دور داخل البيئة الاجتماعية من خلال معرفة حضارة المجتمع وثقافته، إذ يسعى إلى تمحيصها وتحليلها وتفكيكها، فيستنبط وينقد ويقيّم ويوظّف مكتسباته وأدواته المعرفية والفكرية، داخل الدّائرة الاجتماعية منتهجا السّبل القويمة لمواكبة الحضارة الكونيّة والمثاليّة. ومن ثمّ يسعى المثقّف إلى ممارسة الأساليب الفكريّة والمعرفيّة اللاّزمة في ترسيخ الوقائع العامّة، ونشر الأدوات والمفاهيم الّتي تحقّق الإبداع والاكتشاف المستمرّ والمتواصل .

فبات من الوجوب بيان دور المثقّف الأساسي داخل البيئة الاجتماعية، وإبراز هواجسه وسلوكه، ليكون حاملا للمشعل في شتّى الميادين والمجالات، وليلعب دوره الرّيادي بطرق وإبداعات متنوّعة، ممارسا مواهبه وقدراته الذّهنيّة والفكريّة في معالجة الأمراض الاجتماعية الّتي تصيب الشّعوب والإنسانيّة، فيساهم بذلك في تصحيح المواقف ومعالجة الأفكار وتوجيه النّاس وصقل آرائهم، وينخرط داخل هموم الطّبقات الاجتماعية ومشاغلها، ويسعى إلى العمل على توفير المصالح الاجتماعيّة وقد يعرّض نفسه للمخاطر عند وقوفه ضدّ السّلطة المستبدّة ويرفع شعارات الحرّيّة والدّيموقراطيّة.

وقد حاولنا في هذا البحث ضبط مصطلحي المثقّف والثّقافة، والوقوف على دور الثّقافة صلب الدّائرة الاجتماعيّة، وعلاقة المثقّف الحداثي بالمثقّف الأصولي في الواقع الإنساني العربي، من خلال الإجابة على هذه الإشكاليّة الرئيسيّة: **هل امتثل المثقّف العربي للدّور المناط بعهدته أم حاد عنه؟.**

وتتفرّع الإشكالية الرّئيسية إلى الأسئلة التّالية:

1- فيم تتمثّل مسألة الثّقافة والمثقّف؟.

2- ما هو دور الثّقافة داخل المحيط الاجتماعي؟.

3- ما هو تصوّر برهان غليون للعلاقة بين المثقّف الحداثي والمثقّف الأصولي؟.

2- المسألة الثّقافية والمثقّف عند برهان غليون:

عرّف الزّهراني الثّقافة بأنّها: "كلّ ما فيه إِستنارة للذّهن، وتهذيب للذّوق، وتنمية لملكة النّقد والحكم لدى الفرد والمجتمع."(الزهراني، صفحة 06)، وما جاء في البلاغة والمعاجم، لا يخرج عن دائرة هذه المعاني، وعليه فلفظ المثقّف يحمل معنى المفكّر. واللّفظين العربيّين "مثقّف" و"ثقافة" يقابلان على التّوالي intellectuel" و" culture" و هما ذو الأصل اللاّتيني المستخدم في اللّغة الأوروبيّة، وعلى الرّغم من أنّ الاشتقاق العربي يعين على فهم العلاقة بين المثقّف والثّقافة الّتي تمثّل مجال فعله وتأثيره، ويشدّد على التّرابط بين الاثنين، فإنّ التّفكير في دور المثقّف وعلاقته بالثّقافة لا يزال يتبع المعاني المتولّدة في الأدبيّات الغربيّة ويحذو حذوها. (الزهراني، صفحة 07)

ونلاحظ أنّ معنى الثّقافة في اللّغة الأوروبيّة لا يخرج عن معناه في العربيّة، فهو اسم يستخدم في اللّغة على الذّكاء والتّفكير بصورة أو بأخرى، مباشرة أو غير مباشرة، فالمثقّف بهذا المعنى سيكون هو من اكتسب بالتّدريب والتعلّم جملة المعارف الّتي تنمّي فيه هذه الملكة. وهذا المعنى لا يتطابق مع مفهوم "intellectual" الّذي يدلّ على الشّخص الّذي يمتهن العمل الفكري، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لابدّ من الإشارة إلى أنّ لفظ مثقّف في اللّغة العربيّة المعاصرة هو اسم مفعول بمعنى حذق. (الجابري، 2000، صفحة 22). فاللّفظ العربي المثقّف الّذي وضع ترجمته إلى "intellectual" فهو لا يحيل إلى الفكر أو الرّوح، بل إلى لفظ "الثّقافة" الّذي هو ترجمة لكلمة "culture" الفرنسيّة الّتي تدلّ في معناها الحقيقي الأصلي على "فلاحة الأرض"، أمّا في معناها المجازي فتدلّ أوّلا على "تنمية بعض الملكات العقليّة بواسطة تداريب وممارسات" كما تدلّ ثانيا على "مجموع المعارف المكتسبة الّتي تمكّن من تنمية ملكة النّقد والذّوق والحكم". (سعيد، 2006، صفحة 22/21) كما أنّ لفظ المثقّف وردت في المصادر والكتابات الفقهية بمعاني تشبه هذه المعاني اللّغوية وزادوا عليها معاني تخدم فكرتهم كما سيظهر من تعريفاتهم الآتي ذكرها في المفهوم الاصطلاحي. إنّ المعنى الاصطلاحي الدقيق لكلمة المثقّف، يشير إلى أنّه ناقد اجتماعي همّه أن يحدّد ويحلّل ويعمل من خلال ذلك على المساهمة في تجاوز العوائق الّتي تقف أمام بلوغ نظام اجتماعي أفضل، نظام، أكثر إنسانية، وأكثر عقلانية". (سعيد، 2006، صفحة 25) فالمثقّف هو "فاعل اجتماعي جمعي يمثّل قوّة محرّكة وديناميكيّة اجتماعيّة، يمتلك القدرة على إنتاج المجتمع من خلال إنتاج الأفكار والمفاهيم الضّرورية لإعطاء أفراد المجتمع هويّتهم وتبرير مؤسّساتهم وممارساتهم، أو دعوتهم إلى تأسيس حياتهم الاجتماعية على أفكار ومفاهيم تتحوّل إلى كيان حيّ قادر على الحركة والتّنظيم والتّحسين والإصلاح" (غليون، 2006، صفحة 86/85)، ويعرّف المثقّف أيضا بأنّه "واحد ممّا يسمّى (الإنتلجنسيا) يملك قدرا من الثّقافة الّتي تؤهّله لقدر من النّظرة الشّمولية، وقدر من الالتزام الفكري والسّياسي". (علوش، 1985، صفحة 160/159)

وتطرّق برهان غليون إلى مصطلح الثّقافة؛ فعرّفه على أنّه كل نشاط عقلي وذهني وإنتاج معرفي عالي المستوى "وتتردّد هذه التّعريفات بين مفهوم ضيّق للثّقافة يجعلها مقتصرة بالدّرجة الأولى على النّشاطات العقلية العليا أو على الإنتاج الذّهني العالي المستوى والمعترف به من قبل المختصّين، وبين مفهوم أقلّ ضيقا يدمج في الثّقافة كل النّشاطات الذّهنية الشّعبيّة والرّسميّة الحيّة والموروثة. وبين مفهوم أكثر شمولا يحاول أن يربط الثّقافة بكل النّشاطات الذّهنيّة والجسديّة الّتي تخلق لدى جماعة معيّنة بطريقة متميّزة في السّلوك والحياة". (غليون، 2004، صفحة 73)

وبهذا المعنى تكون الثّقافة، هي مجموعة من المعارف والعادات والتّقاليد والاعتقادات والقيم والأخلاق، الّتي تطرأ على الفرد ويكتسبها من خلال إطار اجتماعي محدّد، إذ تتبادل أفراد دائرة اجتماعيّة محدّدة العلاقات فيما بينها أكثر ممّا تتبادلها مع مؤسّسات اجتماعية أخرى، غير منتمية لهم، فيحصل التّجانس داخل الإطار الاجتماعي الواحد، ومن ذلك تنبثق الثّقافة وتتكون وتنشأ. وتختلف الثّقافة من مجتمع إلى آخر، ويتميّز الواحد عن غيره، فتتمايز الشّعوب البدائية عن الشّعوب الحديثة المتحضّرة، و"هذه التّعاريف مفيدة كي تظهر ما يميّز مجتمعا عن مجتمع آخر ويفسّر سلوكه المتميّز. وقد تطوّر هذا المفهوم منذ عصر الأنوار حتّى أصبح لا يعني فقط هذا التّمييز في السّلوك وإنّما أيضا التّمايز بين ما سمّي بالشّعوب البدائيّة والشّعوب الحديثة المتحضّرة". (غليون، 2004، صفحة 74/73)

ويبقى الجدل قائما بين مؤيّد الاستمرارية في التّجانس بين هاتين الثّقافتين وبين رافض لهذا التوجّه. ولقد اعتنى الباحثون في المجال الأنثربولوجي بالثّقافات المتجدّدة من خلال استعمال الثّقافات السّائدة والقديمة. والثّقافة وسيلة لصقل الطّبيعة البشريّة وتهذيبها، و"هنا تصبح الثّقافة عمليّة تهذيب أو تثقيف "الطّبيعة" أو "الفطرة". (غليون، 2004، صفحة 74)

وتخرج الثّقافة عن الدّائرة الاجتماعية من الخضوع والمألوف إلى ما هو تجديد من خلال بناء إطار حديث يجمع قيما وأنظمة مبتكرة، و"الثّقافة تميّز هنا المجتمعات الّتي تخرج من إطار الخضوع المطلق للطّبيعة الخارجيّة أو الذّاتيّة، وتكتسب فيما تعمل على تدعيمها الحياة الاجتماعية ذاتها". (غليون، 1986، صفحة 77/76)

ويتساءل برهان غليون عن كيفيّة انتقال المجتمعات من مرحلة الجبلّة إلى مرحلة الثّقافة؛ أي من مرحلة سيطرة السّائد والقديم، إلى مرحلة التّجديد والتّحديث. إذ هي وسيلة يستطيع من خلالها الأفراد الالتقاء والتّجانس والاحتواء، من ثمّ التّقارب الفكري والمعرفي والحضاري والاجتماعي. فهي أداة ووسيلة للاندماج البشري والتّمازج المعرفي، و"الثّقافة هي أوّل نشاط اجتماعي بمعنى الكلمة لأنّها الشّرط الأوّل لحصول لقاء بين أفراد، لقاء يأخذ بالضّرورة بعدا تاريخيا، أي لا ينتمي مباشرة في اللّحظة الّتي يترك فيها الفرد الفرد الآخر، وبعدا جغرافيا، أي لا يربط فقط بين أفراد دخلوا في علاقات أحدهم بالآخر في الزّمان. ولكن في المكان أيضا، الثّقافة هي شبكة العلاقات والمواصلة الّتي تخلق من جرّاء الاستقرار". (غليون، 1986، صفحة 77) فهي الشّبكة المتجاوزة للبعدين الزّماني والمكاني وغايتها تحقيق التّوازن والاندماج والتّآلف والانسجام العمراني بين الجماعات القريبة والمتباعدة، كما تلعب الثّقافة دورا في استمرارية العلاقات بين الجماعات، إذ تستمرّ الجماعات الممزّقة وتحافظ على وجودها ومكانتها حتّى من النّزاعات الدّاخليّة، و"الثّقافة تجمع حيث تقسّم المصالح الماديّة. وهذا ما يسمح لجماعة من الجماعات أن تستمرّ في الوجود بالرّغم من النّزاعات الدّاخليّة الّتي تمزّقها". (غليون، 1986، صفحة 78)

والعلاقة بين الثّقافة والجماعة علاقة تلازميّة ومتكاملة؛ إذا انهارت الأولى (الثّقافة) انهارت الثّانية (الجماعة)، وإذا ظهرت وحدة الجماعة من جديد وتأسّس الكيان الاقتصادي السّياسي لتلك الجماعة من جديد، تظهر الثّقافة بالضرورة، ومن ثمّ يتحقّق التّواصل الاجتماعي. وبهذا المعنى، فإنّ الثّقافة هي المؤسسة للنّظام الاجتماعي العامّ، وتتسلّح بمنهجين؛ الأوّل وهو الوسيلة المنظّمة لحياة المجتمع وتتحكّم في سلوك أفراده، بالتّالي تحدّد بيئة الإطار الاجتماعي. والثّاني، فإنّ الثّقافة شاملة للإنتاجات المعرفية للنّخبة المثقّفة من علماء وفنّانين، وهو ما يشكّل الصّورة العاكسة للمجتمع سواء صورة حقيقيّة أو مزيّفة، و"الثّقافة تعني بالمفهوم الأوّل القاعدة الأساسيّة الّتي تقوم بضبط المجتمع لبيئته وتاريخه وسيطرته عليهما. وتعني بالمفهوم الثّاني المتعة الّتي يحصل عليها الإنسان من الثّقافة واستهلاك الإنتاج الثّقافي". (غليون، 2004، صفحة 75)

لقد تطرّق برهان غليون إلى مسألة انهيار الثّقافة من خلال الغزو الأجنبي، وما فرضه نظامه الاقتصادي من تحطيم المجالات الحيويّة في الجماعة المحتلّة، ونشر الخضوع والتّبعيّة فيها من خلال تدمير خصوصيّتها وإتلاف مراكز العلم واغتيال العلماء والمثقّفين، ويفرض خصوصيّته، و"عوامل انهيار الثّقافة أي تحطيم شبكة التّواصل الاجتماعي، يمكن أن تحدث نتيجة غزو أجنبي. عندئذ يحاول الفاتح كي يضمن إخضاع الجماعة الغريبة، وهضمها أو دمجها في نظامه الاقتصادي، أن يحطّم قنوات التّواصل فيها من مدارس أو بيوت علميّة أو كتب مقدّسة، ويستبدلها بشبكات جديدة تبثّ قيما جديدة أيضا، أو بقتل رؤساء هيئتها العلميّة من المثقّفين المختصّين، أو فرض الدّين الجديد بالقوّة". (غليون، 1986، صفحة 78)

ومن الملاحظ أنّ من وسائل تحطيم الثّقافة؛ تفكيك اللّغة الأمّ ومحاولة فرض لغة جديدة. واللّغة أساس وركيزة المحيط الاجتماعي، ولا تستوي الثّقافة إلّا باللّغة، وهي أداة لترسيخ الحضارة وانتشارها داخل الذّهن المجتمعي، ويعتبر تفكيك اللّغة وسيلة من أهمّ الوسائل المساهمة في اندثار بنية الثّقافة، وتعتبر اللّغة من أهمّ المناهج المساهمة في ازدهار النّسيج الاجتماعي والاقتصادي والتّقني، و"تحطيم الأدوات يمكن أن يبدأ بتفكيك اللّغة". (غليون، 1986، صفحة 79)

إنّ من أسباب انهيار الثّقافة؛ تهميش قطاع التّعليم وضرب قيم المجتمع والمساس بالمبادئ المرتكز عليها، وقطاع التّعليم من القطاعات الحيويّة البانية للعقول وصقلها وتوجيهها ضمن الأطر القويمة لنيل الحضارة، و"يمكن أيضا تحطيم أدوات

الاتّصال بضرب الهيئة العالمية المحليّة، أو بضرب جهاز التّعليم، لكن أيضا يمكن إخضاع المجتمع المفتوح وضرب ثقافته (أي روح تضامنه ووحدته الدّاخليّة القوميّة) بالمساس مباشرة بمنظومة القيم الّتي توحّد عناصره". (غليون، 1986، صفحة 79) وقد فرض الغزو الأجنبي على المجتمع المحتلّ ثقافة جديدة حاملة لمبادئ العولمة والعقلانيّة، ونواميس جديدة حاملة لعادات وتقاليد جديدة تسيّر الرّوابط الاجتماعية ذات آداب وأخلاقيات مختلفة عن المألوف. عندئذ تكون الثّقافة هي العامل الموحّد للدّائرة الاجتماعية، ولكنّها هُمّشت في العالم العربي، واعتبرت محدودة في تفعيل التّغيير الاجتماعي في الوسط العربي.

3- دور الثّقافة في ترسيخ توازن المجتمع الإنساني:

ينظر برهان غليون إلى مسألة الثّقافة وعلاقتها بالبيئة الاجتماعيّة من زاويتين؛ الأولى باعتبارها مجموعة من القواعد والقيم والأحكام الممنهجة للمجتمع وتسيّر سلوك الأفراد بصفة فرديّة وجماعيّة، لبناء حياة اجتماعية قويمة ذات ركائز صلبة وصامدة. والثّانية،أنّ الثّقافة متأسّسة على إنتاجات فكرية ومعرفية نابعة من النّخبة المثقّفة لدى المجتمع بمختلف فروعها كالأدباء والعلماء والفنّانين. وهذا ما يشكّل صورة تنعكس على حياة البيئة الاجتماعية. ومن ثمّ فإنّ الثّقافة بصورتها الأولى، هي الممنهجة للمجتمع حيث تضبط تاريخه وبيئته، وتؤثّر سلبا أو إيجابا عليه. أمّا في صورتها الثّانية فهي بمثابة النّشوة الفكريّة الّتي تنصهر مع العقول المثقّفة والأدمغة النّخبويّة الّتي تشكّل المجتمع البشري. وتبرز النّظرة الأولى أنّ الثّقافة مجموعة من النّواميس الّتي تؤطّر أفراد المجتمع وتضعهم في قالب دستور حاملا لقوانين وقواعد وأحكام. أمّا النّظرة الثّانية فهي (الثّقافة) بمثابة الحقل الذي ينتج الأساليب والإنتاجات الفكرية والمعرفية المساهمة في نشأة الدّائرة الاجتماعية وتسيّرها وفق نظام متناسق ومقنّن.

ويحمل النّسق الثّقافي داخل طيّاته انصهارا وتوازنا على مستوى مكوّناته برمّتها. ولا يمكن التّفرقة بينها أو الاستغناء عن أحد المكوّنات، وهي بمثابة اللّبنات المتراصّة والمنتظمة، إذا سقطت واحدة تداعت باقي اللّبنات إلى السّقوط والهوان. ومن ذلك فإنّ كلّ تذبذب أو اختلال يصيب أفراد المجتمع يقابله مقاومة صلبة من طرف باقي أسس ومقوّمات النّسق الثّقافي، و"هنا تظهر البنية الثّقافية كما لو كانت صيغا أو أنماطا أوّليّة ثابتة في اللّاشعور الجمعي لكلّ مجتمع لا تتغيّر ولا تتبدّل على مرّ العصور". (غليون، 2004، صفحة 75) ومن ثمّ، يفسّر برهان غليون المجتمع العربي من خلال المزيج بين النّظرتين ومن خلال الإيمان والتّسليم بالدّور الرّيادي والفعّال للقيم الثّقافية. ويهتمّ بالثّقافة كعامل من عوامل النّهضة الفكرية والحضارية والاجتماعية. ويرى المجتمع العربي أنّ نهضته لا تكون إلّا بالقطيعة مع الثّقافة القديمة، وضرورة تحديثها وتجديدها وتحقيق المقاطعة معها. وفي منحى آخر لا يكون الالتحاق بالرّكب الثّقافي الغربي وتقدير ثقافته واعتمادها. ومن هذا المنطلق تجرّد المجتمع العربي من قيمه وثقافته ونثرها واستغنى عنها، بينما استهلك الثّقافة الغربية وتبنّاها.

وتتمخّض الدّائرة الاجتماعية العربية بين التّسليم بالدّور الفعّال للثّقافة وبين رفض الثّقافة كمنقذة للبشرية من براثن الخمود الفكري والحضاري، ويتّضح أنّ التّخلّص من ثقافة الماضي لا تتمّ إلّا بالتّجرّد من القيم الثّقافية الّتي يمثّلها، ويكون اتّباع الغرب من خلال تقدير ثقافته.

ويُرجع برهان غليون قصور مفهوم الثّقافة في ذهن الإنسان العربي عن خطأين أساسيّين "يقوم الأوّل على الخلط المتعمّد أو التّلقائي بين الثّقافة والوعي أو الفكر أو العقل، ممّا يجعل من الثّقافة بنْية ذاتية بعيده عن الموضوعية. ويقوم الثّاني على الخلط بين الثّقافة وبين الواقع أو الوقائع المادّية الجغرافية أو المناخية أو العرقية أو البيئية أو التّاريخية". (غليون، 2004، صفحة 76) ومن ثمّ ينتج عن الخطأ الأوّل انفراد الثّقافة وعدم تجانسها مع الحقيقة الاجتماعية، وينتج عن الخطأ الثّاني تقوقع الثّقافة ووضعها في قالب متجمّد ومتحجّر رافض لتاريخ الواقع البشري.

وفي الحديث عن علاقة الثّقافة بالدّائرة الاجتماعية، فإنّ الثّقافة تحوي الوعي الإنساني فردا كان أم جماعة، وتعطي الأدوات والمناهج اللّازمة لفهم العالم وجعله مبسّطا ويتماشى مع فطرة العقل لدى الإنسان. وتتماشى الثّقافة وتتواءم مع الحاضر والرّاهن البشري، ومن ثمّ يحصل الانصهار بين الواقع والوعي البشري، لتولد ثقافة قادرة على تحوّل الوعي الذّاتي إلى وعي جماعي يؤمن بقضايا المصلحة الجماعية، فالوعي والواقع لا يخلقان ثقافة إلّا عبر المؤسّسة الاجتماعية، باعتبارهما صيرورة تاريخية، أي كيانا متغيّرا ومستقرّا في الوقت نفسه. ويصبح الوعي الذّاتي وعيا جماعيّا ومستقلّا عن وعي كلّ فرد، ويصبح الواقع الموضوعي والخارجي واقعا تاريخيا وذاتيا. ومن ثمّ، تنمو المجتمعات من خلال الثّقافة والزّمن، وتُسهم الثّقافة بشكل وظيفي في خلق حقل جديد متكوّن من واقع اجتماعي حديث وبُنى موضوعية حاملة لسُبل تساعد عل انسجام الوعي الإنساني مع الواقع الخارجي، و"هذه العلاقة الاجتماعية والتّاريخية بين الوعي والوجود، بين الذّات والموضوع، يولّد واقع جديد، أو بنية موضوعية خاصّة تؤثّر في الوقت ذاته في طريقة عمل الوعي كذات فاعلة، أو كفعل إدراك، وفي طبيعة الواقع الخارجي، هي ما نسمّيه الثّقافة". (غليون، 2004، صفحة 77)

إنّ الانحطاط والتّذبذب الاجتماعي والاقتصادي والسّياسي راجع بالأساس إلى تدهور القيم والأخلاق، أو وجود قيم دخيلة على القيم السّائدة والمألوفة داخل المحيط الاجتماعي،مع دخول مفاهيم وأفكار معيّنة إلى جماعة معيّنه. ومن ثمّ، قد تُحدث هذه الأفكار الحديثة والغريبة هزّات عنيفة، وقد تمثّل القيم الدّخيلة رجّة حضارية واجتماعية تؤثّر سلبا على قواعد المجتمعات المبدئية، وقد يحدث فرض مثال ثقافي غربي على الجماعة العربية انقساما في منظومة القيم المؤسّسة للمجتمع وتماسكه. ومن هذا المنطلق، تفقد الثّقافة دورها الأساسي باعتبارها عمليّة بناء المناهج والآليات المعالجة للواقع الاجتماعي. وبهذا عند قَبول قيم جديدة مزيحة للقيم المألوفة والسّائدة ومتباينة معها، تصبح العلاقات الاجتماعية راكدة في مستنقعات التّضادّ واللّاتجانس، وتفقد القيم الأصلية فعاليّتها وجودتها، ويتخلخل المجتمع الإنساني المسلوب لثقافته الّتي تحقّق له التّوازن والاستقرار، وتفقد القيم والمبادئ فعاليّتها عندما تتخلّى عن طابعها كقيم مشتركة وكمعايير محترمة. ويفقد المجتمع المدني كلّ معاييره الّتي تتيح له إعادة توحيد نفسه وضمان استقراره. ولا يمثّل تبنّي القيم الأجنبية داخل المجتمعات العربيّة أمرا قطعيّا يحسم التّوتّر والانحطاط، بل من الإمكان الاستفادة من النّماذج الغربيّة واستهلاك العولمة وما تحمله من مزايا ساهمت في توطيد العلاقات الاجتماعية مثل ما تحمله اليوم الشّبكة العنكبوتية من إيجابيات تقريب المسافات وتخليد الوقائع والأحداث.

ومن الملاحظ أنّ التّذبذب السّياسي والاجتماعي وانقطاع المصالح المشتركة، وعجز المجتمع المدني عن تحقيق وحدته وانسجامه، راجع إلى الطّرق الثّقافية السّائدة الّتي لم ترتق إلى المستوى المأمول، بل انحصرت في دور الوسائل الحربية المساهمة في الإطاحة بالبيئة الاجتماعية، والنّماذج الثّقافية الرّاهنة لا يمكن أن تكون إلّا وسيلة فكرية من وسائل الحرب الّتي تشنّها فئة اجتماعية ضدّ الفئات الأخرى. كما ينتج عن تشتّت اللّحمة الثّقافية المشكّلة لنسيج المجتمع، الاستبداد السّياسي والدّكتاتوريّة (إنّ الأنظمة الدّكتاتورية مثلها مثل الأنظمة الملكية المطلقة تقوم على أساس انفراد شخص واحد بالسّلطة، والفارق بينهما أن الدّكتاتور لا يتولّى الحكم بالوراثة إنّما يصل إليه بفضل قوّته وكفاءته. وغالبا ما نجد الدّكتاتور يستمدّ سلطاته وقدراته في السّيطرة على شعبه من مقوّمات شخصيّته المتميّزة. كما أنّه يعتمد على حزبه وأنصاره وأعماله أساسا هادفا من وراء ذلك حسب وجهة نظره تحقيق أهداف الأمّة، فالحكم الدّكتاتوري عادة ما ينشأ به اضطرابات داخلية أو أزمات سياسية واقتصادية أو هزائم عسكرية تثير غضب الشّعوب لعدم قدرة أنظمة الحكم القائمة على التّصدي لها والقضاء على أسبابها) (نعمان، 2009، صفحة 219)

ومن ثمّ يتحوّل المجتمع إلى مجموعة من الأفراد المتنافرين والمتفرّقين فاقدين لعوامل التّواصل والتّفاعل، ويطغى الاستبداد والاستعباد والجبروت على القاعدة الاجتماعية، وتفقد مبادئ الوحدة الاجتماعية والثّقافية، وتتشتّت الجماعات وتتدهور وتفقد توازنها، وهذا التّدمير بمثابة تحطيم كلّ معيار للعمل،حيث يتحوّل المجتمع إلى مجموعة من الأفراد المتنابذين. ومن ثمّ فإنّ غياب الثّقافة كمشترك بين أفراد الجماعات داخل المحيط الاجتماعي يؤدّي إلى النّزاع والخلاف والعنف والحروب، وعند تناول النّموذجين الثّقافيين الغربي والعربي؛ الأوّل المستورد صلب المجتمع العربي يُسهم في سلب القيم التّقليدية والأصلية العربية ويغيّر وظيفة المجتمع العربي، ويؤثّر على الثّاني (العربي الشّرقي) وتحصل الهوّة بين هذا الأخير والواقع، ويفقد ثقافته وأهدافه الرّامية إلى التّغيير والرّقي. إلّا أنّهما-(الثّقافتين) العصرية والتّقليدية- تتآلفان في نقطة تقديس القيم الذّاتية المختلفة في الشّكل مثل "التّعصب والقطيعة والتّرداد الطّقوسي للأفكار والأقوال، والانغلاق وفقدان روح الإبداع لحلول جديدة وروح الحوار، ورفض الاختلاف، أو رفض حرّية التّعبير والتّفكير والميل الدّائم للقمع والأمل بمحاربة الدّيكتاتورية والتّسلّط بديكتاتورية وتسلّط جديدين". (غليون، 1986، صفحة 276) ومن ثمّ تفقد الثّقافة مكانتها عندما يفقد المجتمع الأساليب والمعايير والأدوات المشتركة بين أفراده.

والثّقافة الغربية ليست هي المشكل أو ضدّ النّهضة العربية، وأنّه من اللّازم قبولها في الرّاهن العربي، ولا يتمثّل التّحرر الثّقافي في فحواه وكينونته، بل في قدرته على ضمان حلحلة المسألة الاجتماعية. ومن الواجب إيجاد وسيلة عملية بعيدة كلّ البعد عن الرّؤى الأيديولوجية لنشأة سياسة ثقافية قادرة على بلورة القيم الجديدة والحديثة المستوردة دون المساس بوحدة الأفراد والجماعات داخل المنظومة الاجتماعية، والمطلوب هو إيجاد معيار من خارج المنظور الأيديولوجي يوضّح سياسة ثقافية قادرة على أن تستوعب فعلا القيم الثّقافية الجديدة مع الحفاظ على البيئة الاجتماعية.

ومن ثمّ فإنّه بات ضروريا المناداة بطرق وكيفيّات تجعل من الثّقافة بارزة وحاضرة اجتماعيا لتكون حصنا منيعا لأفراد الدّائرة الاجتماعية ضدّ التّشتّت والانقسامات والانحلال والتّدهور والانحطاط والتّراجع عن اعتلاء دركات الجهل والتّخلّف. وتستطيع مكوّنات المجتمع الانسجام والتآلف وتجاوز الصّراعات الدّاخلية ومقاومة النّزاعات الخارجية الماسّة بالمألوف والسّائد وقيم المجتمع الفاضلة.

والثّقافة باعتبارها وسيلة إنقاذ الجماعة، فهي نتاج عديد العوامل المتنوّعة؛ تاريخية واجتماعية وسياسية واقتصادية. وقد تتوفّر في حقبة معيّنة وتنعدم في أخرى، لذلك وجب على المجتمع أن يلعب دور الباني للحضارة والثّقافة، من خلال محاولة النّهوض وتطوير الآليّات والأساليب الفكرية الذّاتية والمعرفية والأخلاقية والفنّية والرّوحية والعلمية، لبلوغ شاطئ الحضارة والرّقي العالميّين.

وقد ارتبطت الحضارة العربية بالثّقافة الغربية، في القرن التّاسع عشر، حيث استصغرت الدّول العربية المستعمرة ثقافتها أمام الثّقافة الغربية، واعتبرتها نواة الاكتشافات والعلوم والبحوث وموطن الحضارة الإنسانية الرّاهنة، وثقافة الحضارة العالميّة. وسعت باقي الثّقافات إلى الصّراع في ما بينها لبلوغ موقع الثّقافة العالميّة، لتكون مصدرا للقيم الإنسانيّة، الّتي تتماشى مع إنسانيّة الإنسان بشكل عامّ. ومن ثمّ، تتجاوز الثّقافة العالميّة البعد الجغرافي والاجتماعي الضّيّق للإنسان إلى البعد الإنساني المثالي. ومن ثمّ، تعتبر الثّقافة العالميّة الحيّة منبع كلّ اجتماع بشري حامل لحضارة كونيّة ذات أسس صلبة ومبادئ اجتماعيّة وسياسيّة كبرى كالحرّية والعدل والمساواة والشّورى.

ومن هذا المنطلق، يلاحظ برهان غليون فشل الثّقافات العربيّة المتقوقعة على قيم وحضارة محلّيّة، والّتي لا تؤمن بالعالميّة ولا تخضع لمفعول الزّماكانيّة. وإذا أدرك المجتمع العربي أنّ ما يحمله من مبادئ ثقافيّة وحضارية عاجز عن الانصهار

والتّجانس مع الشّعوب والمجتمعات الأخرى، فذلك مدعاة للإصلاح وتجاوز المألوف من القيم العقيمة و غير الفعّالة، لتأسيس ثقافة حضاريّة ذات قيم صلبة وناجعة على المستويين المحلّي والعالمي. وكلّما بلغت الثّقافة أوجها، وحقّقت ثقتها بمبادئها الإنسانيّة، إلّا وتوسّعت قيمها الحضاريّة على الثّقافات الأخرى، وسعت إلى تحريرها من براثن العبوديّة والبربريّة.

ومن ثمّ، تتحوّل الثّقافة إلى ثقافة حضارة، حاملة لآليّات وتقنيّات تعيد صياغة التّاريخ من منظور قيمها ومبادئها، وتفرضه على باقي الثّقافات باعتباره مثمرا ومعقولا. وينعكس على استقرار المجتمع وتحقيق توازنه الاجتماعي والاقتصادي والسّياسي، وهذه "كلّها شروط أساسيّة لنشوء الحضارة وتطوّرها". (غليون، 2004، صفحة 106)

ولا يرتبط ولادة الحضارة بالثّقافة العالمية فقط، بل يتعدّاها إلى ما حصل من انتصارات عسكرية واقتصادية وتاريخية، وبذلك نشرت الدّول الغربية ثقافتها بكثافة بعد الاستعمار المسلّط على دول العالم الثّالث، أي بعد استقلال العالم النّامي. إنّ الحضارة ظاهرة كونية وعالمية، حاوية لجميع الثّقافات المتجانسة والمترابطة. وإذا كانت الثّقافة هي الفهم وحسن النّظر، فإنّ الحضارة هي معرفة الوسائل والآليّات وحسن تسييرها والانتقال بالمعرفة من الفرديّة إلى الجماعة، ومن الخاصّ إلى العامّ، ومن الذّاتي إلى الموضوعي، ومن ثمّ تصبح عمليّة انتقال المعارف عبر الثّقافات سهلة.

ويبني برهان غليون ثنائيّة الثّقافة والأفراد ويوضّح هذه العلاقة التّلازمية الّتي لا يمكن استغناء الواحد عن الآخر، إذ أنّ نشوء ثقافة حيّة خاضع لعوامل متعدّدة ومتبدّلة، تاريخية واجتماعية واقتصادية وسياسية وعسكرية. وقد تتوفّر لمجتمع ولا تتوفّر لآخر، ويمكن أن تتوفّر له في حقبة معيّنة ويفتقر إليها في حقبة أخرى. لذلك لم تنشأ عبر التّاريخ إلّا ثقافات كبيرة محدودة، وقليل منها أتيح له أن يطوّر منظوماته ويصل بها إلى مرحلة الحضارة العالمية.

4- المثقّف الحداثي والمثقّف الأصولي حسب برهان غليون:

يعتبر المثقّف العربي أداة أساسيّة في تحديد المفاهيم واقتراح الوسائل النّاهضة بالمجتمعات نحو المسار القويم، وعلى هذا الأساس يلعب المثقّف دورا هامّا في تأسيس قواعد نظام الدّائرة الاجتماعيّة. ولا بدّ من معرفة ثلاث ضرورات عند القيام بالإصلاح الاجتماعي؛ "الأولى تخليص الفكر الإسلامي أي العقيدة الشعبيّة السّائدة من العناصر والشّوائب الّتي لحقت بها .. والثّانية تحقيق ديمقراطية سياسية كاملة أو نسبيّة .. والثّالثة القيام بمجهود استثنائي لردم هوّة التأخّر التّقني والصّناعي وتحسين الجهاز الإنتاجي". (غليون، 1992، صفحة 07/06) ولا بد من ضرورة الصّمود وعدم التّراخي في بلوغ المأمول والتّدرّج في سلّم النّهضة والرّقي. لذلك وجب مراجعة نقد أسباب فشل النّهضة العربيّة في القرن التّاسع عشر. إذ يجب على النّخبة المثقّفة فحص المسائل والجزئيات، وإيجاد حلول وإمكانات تساهم في الارتقاء بالأوضاع السّائدة وإعادة النّظر في الأنظمة والقواعد المتحكّمة في الحقبة الماضية، من خلال تقويم الإطار النّظري العامّ وحسن النّظر في المسائل بدقّة وإعادة تحليل الواقع الإنساني وفهمه فهما عميقا.

ومن شروط الحفاظ على استمراريّة المجتمعات، العمل بطريقة تجديديّة تتمثّل في تطوير منظومة القيم الثّقافية والوظائف لإعادة استيعاب التّغيّرات الجديدة الّتي تمسّ البُنى الأخرى أو من خلال الانكماش على القيم القديمة أو الاحتفاظ بإستراتيجية فعّالة على مستوى الذّهن. ولكن يبقى دور المثقّف نقطة التّحوّل والقوّة في رسم التغيّرات ومسايرة الواقع والحضارات السّائدة، إلاّ أنّ الطّبقة الاجتماعيّة العامّة تمثّل ذاتها حاجزا أمام المثقّف، إذ تعتبر الأغلبيّة الاجتماعيّة التّقليديّة الأكثر انكماشا على المنظومة القديمة وتقف أمام الحداثة لتدافع عن مصالحها ونفسها، ضدّ النّخبة والطّليعة المتحالفة مع الخارج.

ويعتبر التّهميش الثّقافي الّذي أنتجه النّظام التّربوي السّائد ناقص، ويتجلّى هنا دور المثقّف من خلال إعادة وضع الأسس والأساليب والآليات لتنظيم المجال الثّقافي، والارتقاء بالفكر داخل الإطار الاجتماعي من اللاّفاعلية إلى الفاعليّة، ولا تعتبر عمليّة إعادة بناء المجال الثّقافي المساعدة على تجاوز الأزمة العامّة، ولكن الحلّفي إعادة إصلاح وتنظيم المجال الثّقافي. ومن الوجوب هيكلة المسائل الاقتصادية والسّياسيّة، باعتبارها الأداة الرّابطة بين الواقع والوعي الاجتماعي، والمساهمة في تغيير الممارسات الفرديّة والجماعيّة. وتعتبر النّهضة الثّقافية أساس النّهضة الحضاريّة والماديّة، إذ يؤسّس لمركّب دينامي هما؛ الثّقافة والنّهضة، ولعلّ ما يمرّ به المجتمع العربي من أزمة حضاريّة وفكريّة، قد ساهم في ضرورة طرح العرب مسألة مدى صلاحيّة الثّقافة العربيّة في بناء المفاهيم والآليّات المساهمة في التّغيير الفكري والعلمي. ولقد أفرز الصّراع حول الثّقافة ظهور فريقين متناقضين؛ الأوّل يدافع عن التّقليد والموروث، والثّاني يدافع عن الحداثة والتّجديد.ومن هذا المنظور، تتمثّل المشكلة الأساسيّة للثّقافة العربيّة في الصّراع والتّناقض بين الحداثة والتّقليد،والمعاصرة والأصالة، وتعدّدت المواقف والآراء ضمن هذا الخلاف.

ويعتبر النّزاع بين أنصار الحداثة وأنصار الأصالة نواة الصّراع الفكري العربي اليوم، حيث قُسِّمَ المثقّفون العرب والمجتمع العربي عامّة إلى قسمين متنازعين ولكلّ منهما رؤيته وأسلوبه في تحديد الماضي أو الحاضر. ويكاد هذا النّقاش يشقّ المثقّفين العرب، بل المجتمع الإنساني العربي إلى طرفين متخاصمين ومتضادّين، لكلّ منهما وجهته الخاصّة للماضي والحاضر، ورؤيته للتّاريخ ومفهومه للعقل والعقلانيّة، وأهدافه وشعاراته السياسيّة والاجتماعيّة. وترتبط الأصالة بالجانب الدّيني، وتتّصل الحداثة بالعلم. وهو ما انفجر منه صراع بين السّلطة الإسلاميّة والعلميّة التطوريّة الاجتماعيّة. (أرسلان)

لقد اعتبر برهان غليون لحظة الهيمنة الغربيّة على الوسط العربي في كافّة المجالات من اللّحظات الواجب استثمارها لتغيير الواقع العربي من طرف الحداثيّين، وقد اعتمد الأصوليّون على مناهج السّلف وأدواته في معالجة الواقع الإنساني. وبالرّغم من اختلاف طرق التيّارين في المعالجة، إلّا أنّ المنهج في تغيير الواقع العربي قد مسّ الطّرفين؛ فالمنشود واحد والوسائل متباينة. إلّا أنّ هذا التّعارض بين الموقفين ليس بالدّرجة الّتي يبدو عليها. فكلاهما يجسّد النّهضة والتّقدّم من خلال قيم أو أساليب وأنماط وعي ذهنيّة ثابتة متقاربة حديثة أو قديمة، دينيّة أو علمانيّة. فهما يلتقيان في منهج المعالجة للقضايا الاجتماعية، وهو ما يسمّى بالمنهج السّجالي. ويتميّز هذا المنهج بطرح مسائل مخالفة لما يوجد في الواقع، ومن ثمّ عدم معالجة قضايا الرّاهن العربي، إذ يحيد هذا المنهج عن القضايا الأساسيّة، ويبتعد عن النّقاش المؤسّس لهدف علمي وجوهريّ. والتّمسّك بهذا المنهج وليد الانحياز الكلّي لجميع الأطراف لعقائدهم المتباينة مع عقائد الآخر، وعدم وجود حقل يوحّد الأطراف المتصارعة.

لقد بيّن برهان غليون نقاط التّشابه بين التيّارين في معالجة الأزمة الحضاريّة العربيّة، كتفسير القيم العربيّة الإسلاميّة الأصيلة، وتقييمها وتعيين أساليب العمل السّياسي ومناهجه وسبل مقاومة الغرب وسيطرته على العالم العربي. ورفض الواقع الإنساني العربي المعيشي، واعتباره واقعا منحطّا ومتدهورا، ومن اللّازم تغييره (ساسي، 2018، صفحة 14)، ومع ذلك تلتقي تيّارات تغريبيّة وقوميّة تحديثيّة وتراثيّة، مختلفة في وجهات نظرها الفلسفيّة والإيديولوجيّة. ومسّ الاختلاف الجانب الإيديولوجي، إلّا أنّ الوحدة والانصهار بين التيّارين اتّصلا بالجانب الاجتماعي والسّياسي، ولذلك تضطرّ الإيديولوجيّات السّياسيّة أن تأخذ بعين الاعتبار الوضع السّياسي والاجتماعي فتوفّق بين عناصر نظريّة وإيديولوجيّة متنوّعة.

ويعتبر الرّقيّ والنّهضة العربيّة محدودين فلا يمكن تحقيقهما في ظلّ هذين التيّارين المتنازعين؛ الطّرف الأوّل الحداثيّون الّذين استعملوا المناهج العلميّة والحديثة واستندوا إلى النموذج الغربي، والطّرف الثّاني الأصوليّون الّذين استعملوا التّراث والمناهج السّابقة وأبقوا على الماضي واستعملوه في الحاضر.

ولا تزال العلاقة بين المثقّف الأصولي والآخر الحداثي متوتّرة ومتنافرة، ولا يزال الصّراع قائما في الرّاهن البشري سياسيّا واجتماعيّا. وانبثق هذا النّزاع واشتدّ بعد ثورات الرّبيع العربي، حيث يسعى كلّ طرف إلى الاستحواذ على مقاليد الحكم ونفي الآخر وإزاحته عن السّلطة. وركّز الطّرفان على قضيّة الإزاحة والإقصاء، وأهملا قضيّة النّهوض والرّقي والالتحاق بالرّكب الحضاري. وبات لزاما مراجعة هذه المواقف النّرجسية الدّاعمة للمصالح الضّيّقة والمهملة للوطن العربي، والدّعوة إلى الاتّحاد والتّحالف من أجل تأسيس حضارة عربية تضاهي الحضارات الأخرى.

وقد لعب المثقّف دورا رياديّا في ممارسة أفكاره و تبنّيه لموارد النّقد والإضافة والتّحوير، باعتبار أنّ الدّول الغربية كانت تصنّف المثقّف ضمن التّيارات السّياسية والدّينية، أي أنّ ما يقود الوجهات والطّبقات الاجتماعية محدّدة من طرف الإنسان العاقل الّذي يحاول أن يكون خارجا عن المألوف والسّائد. وتتّسم وظيفة المثقّف بالنّبل والتّواضع لما ينادي به من قيم ومبادئ إلهية كالعدل والمساواة والحقّ، مثل الفلاسفة والطّبقة المتعلّمة، وهذه قيم لا تتماشى والحياة السّائدة والمألوفة و"لا يتمثّل جوهر نشاطهم في محاولة تحقيق أهداف عملية، أي جميع الّذين ينشدون المتعة في ممارسة أحد الفنون أو العلوم أو التأمّلات الميتافيزيقية، وباختصار في الظّفر بمزايا غير مادّية، ومن ثمّ يستطيع كلّ منهم أن يقول إنّ مملكتي لا تنتمي لهذه الدّنيا". (Benda, 1928, p. 43) إلّا أنّ المثقّف العربي خرج وابتعد عن جوهر وظيفته لأنّه حاد عن المصداقيّة، وباتت أفكاره مجرّد شعارات لا صلة لها بالواقع وقضاياه، وبات من الرّتابة واللاّعقلانيّة، أن لا تحقّق الشّعوب العربية نهضتها وحرّيتها، بل تتدحرج إلى الوراء والانحطاط، وهذا التّراجع مدعاة لمراجعة ثوابتنا وإلى نقد مشاريعنا الثّقافية، وعلى المثقّف أن يجدّد المفاهيم والمناهج والآليّات وإعادة صياغة الإشكاليّات وربطها بالواقع وزمنه، ليتجاوز عجزه وشعاراته الخاوية غير المجدية، و"أنّه إذا كان من المهمّ أن ينزل أحدنا إلى الميدان لكي يدافع عن الحرّيّة، أو لكي يقف ضدّ مصادرة الرّأي، فمن المهمّ أيضا وخاصّة، أن يمتلك القدرة على تجديد أفكاره أو تغيير مفاهيمه، حيث لا تستهلك وتتحوّل إلى شعارات خاوية". (حرب، 2001، صفحة 202)

ومن ثمّ، فقد حاد المثقّف العربي ولا يزال عن وظيفته الأصليّة المتمثّلة في تكريس فكره لخدمة العقل الإنساني ووضع منهجا يسطّر حياة الإنسان المثالية المنظّمة وفق المسار الواعي والعقلاني الّذي يتماشى والحقيقة الإنسانية، بعيدا عن الأهواء والغرائز والتّسلّط الدّاخلي الشّخصي للمثقّف نفسه، أو الخارجي المسلّط عليه من الأطراف الخارجية كالسّلطة أو القوى المهيمنة الّتي تسعى إلى ضرورة وضع المثقّف في تيّارها كي لا يتعارض مع مبادئها و غاياتها وأهدافها. تلك الأهداف الّتي تسعى إلى نشرها داخل المنظومة الاجتماعية الإنسانية، بأُعتبار أنّ الحكومة في تبعيّة للمثقّف ولآرائه، فهو الّذي يسعى إلى إنارة الرّأي العامّ ووضع المناهج والقوانين الّتي تُمنهج وتسيّر حياة النّاس. فينقد ويستشعر المواقف ويؤثّث السّاحة السّياسية داخل المؤسّسة البشرية، فينتقل بها من مرحلة الرّكود الفكري إلى مرحلة النّضج العقلي.

5- الخاتمة:

يعيش العالم العربي أزمة ثقافية وحضاريّة، منذ القرن التّاسع عشر إلى حاضرنا اليوم، ولعلّ دراسة تاريخ الحضارة الإسلامية، يبيّن أنّ هذه الأخيرة مثّلت نقطة انطلاق الثّقافة الغربيّة منذ القرن الثّاني عشر من خلال الحثّ على الترجمة ودراسة الحضارة العربيّة الإسلاميّة من طرف الآخر الغربي. حيث، مثّل هذا الأخير في عصرنا اليوم نموذجا وجب الاحتذاء به لما حقّقه من نهضة في جلّ الميادين. ولقد حاول برهان غليون دراسة المثقّف العربي من خلال محاولة تهذيب العلاقة بين المثقّف الحداثي والمثقّف الأصولي. ولم يستطع الوعي العربي أن يرفض الوعي الغربي أو أن يقبله، إذ أنّ ما يعيشه العربي من تمزّقات إيديولوجية متباينة ولا تزال الأزمة مستمرّة، لذا وجب السّعي الدّائم لإيجاد الآليّات والأدوات لتجاوزها.

ويعتبر المثقّف العربي والثّقافة من عوامل ازدهار الحضارة العربية وبلورتها، حيث بات لزاما الاعتناء بهذه المجالات وترسيخها محاولة للحفاظ على مشروع النّهضة والرّقي، من خلال ترسيخ مفاهيم وآليات ومبادئ محدثة صلب الدّائرة الاجتماعية، تمسّ الجوانب والأطراف كالعائلة والقبيلة ومختلف الرّوابط الاجتماعية الأخرى، أو من خلال التّغيير على مستوى منظومات فنّيّة جديدة تؤثّر على علاقة أطراف العائلة الضيّقة والعائلة الموسّعة؛ سلطة الأب والأبناء وسلطة القبائل والرّعية، وتساهم القيم الفنّيّة الحديثة والمحدثة، في المحيط الاجتماعي،في تبديل السّاحة الفنّيّة وإعادة صياغة شبكة التّواصل المفهومي لتأسيس روابط معرفيّة واجتماعية حديثة.

وصفوة القول، فقد أهمل المثقّف العربي دوره الحضاري داخل المجتمع البشري. فتراه تارة مهادنا للسّلطة ومسايرا لها، خاضعا لإرادة الحاكم ونزواته. وقد تعرّض المثقّف العربي منذ بدايات الإسلام إلى المحن والويلات السياسيّة من طرف الحكّام، ويجد الباحث نوعا من المثقّف المحافظ على فكره وآرائه ومثقّفا آخرا خاضعا لأهواء السّلطة والحكّام. ويكون مثقّفا فاقدا لدوره المناط بعهدته. وتراه تارة أخرى مستبدّا برأيه، واقفا في وجه السّلطة المتحيّزة. وهذا ما عمّق بشكل أو بآخر أزمات العالم العربي، ومن الواجب تغيير الآليّات والمناهج لتحقيق التطورّ واعتلاء سلّم الرّقي والمعرفة.

6- قائمة المراجع:

إدوارد سعيد. (2006). المثقف والسّلطة. القاهرة. دار رؤية للنّشر والتّوزيع.

الأمير شكيب أرسلان. (بلا تاريخ). لماذا تأخّر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم. بيروت. منشورات مكتبة الحياة.

برهان غليون. (2004). اغتيال العقل (محنة الثّقافة العربية بين السلفية والتبعية). بيروت. المركز الثّقافي العربي.

برهان غليون. (1992). الوعي الذّاتي. بيروت. المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر.

برهان غليون. (2006). تهميش المثقّفين ومسألة بناء النخبة القيادية في المثقف العربي، همومه وعطاؤه. بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية.

برهان غليون. (1986). مجتمع النّخبة. بيروت. معهد الإنماء العربي.

الخطيب أحمد نعمان. (2009). الوسيط في النّظم السّياسيّة والقانون الدستوري. الأردن. دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع.

سعيد بن عائض الزّهراني. (بلا تاريخ). مسؤولية المثقّف الإسلامي تجاه قضايا الإرهاب. الرّياض. بلا دار نشر.

سفين ساسي. (01 جوان، 2018). مشروع المثقّف العربي قراءة أوّليّة وتقييميّة للمفكّرين محمد عابد الجابري، برهان غليون وعبد الله العروي. صفحة 14.

علي حرب. (2001). الأختام الأصولية والشّعائر التّقدّميّة (مصائر المشروع الثّقافي العربي). بيروت. المركز الثّقافي العربي.

محمد عابد الجابري. (2000). المثقّفون في الحضارة العربيّة. بيروت. مركز دراسات الوحدة العربية.

ناجي علوش. (1985). المثقّف العربي والنّضال القومي في المثقّف العربي دوره وعلاقته بالسّلطة والمجتمع. ليبيا. المجلس القومي للثّقافة العربية.

Julian Benda .(1928) .The Treason of the Intellectuals, trans.Richard aldingtom) .New York : Nortom 1969 rprt